مجلة الدراسات الفقهية والقضائية • مجلد: 06، عدد: 01 (2020م) • ص ص85 – 124
EISSN 2588-2481 - ISSN 2477-9806

المدرسة الفقهية المالكية بتلمسان الزيانية ودور فقهائها في كتابة النوازل خلال القرن (9 هـ/ 15م)

The Maliki School of Jurisprudence in Tlemcen Al-Zayyaniyah - and the role of its jurists in writing the current controversial issues during the century (9 AH / 15 AD)

بقلم

أ. نصيرة عزرودي*

جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ـ الجزائر

naceralex@maktoob.com

ملخص

تبحث هذه الورقة في مدى تعبير المؤلفات النوازلية عن التوجه الذي ساد العهد الزياني، وفي المميزات الأساسية لهذا النوع من المصنفات. كما تنظر في مستوى بنية نصوصها أو في الإشكالات التي تطرحها وما تختلف فيه عن كتب الفقه والأحكام، ثم تقدم قراءة حول أهم المواضيع التي عالجها هذا النوع من المصنفات. كما تحاول رصد مؤثرات المدرسية الأندلسية على كتابة النوازل بتلمسان الزيانية، وتتطرق إلى موضوع الالتزام بمشهور المذهب المالكي في فتاوى الفقهاء الأندلسيين في النوازل.

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ الزيانيون؛ الفقه؛ النوازل؛ المالكية؛ القرن التاسع.

Abstract

This paper examines the extent to which the book of the current controversial issues expresses the trend that prevailed in the Zayani era, and the basic characteristics of this type of literature. It also examines the level of the structure of its texts or the problems they pose, and what differs in it from the books of fiqh and rules. A reading is then provided on the most important subjects addressed by this type of literature. The research also includes monitoring the influences of the Andalusian School on the writing of the current controversial issues in Tlemcen Zayani. It deals with the issue of

* المؤلف المراسل.

adherence to the Maliki school of jurisprudence in Andalusian jurists in the current controversial issues.
Keywords: Tlemcen; The Zayani people; Jurisprudence; the current controversial issues; Malikism; Ninth century.

مقدمة

كان اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء واضحا منذ تأسيس دولتهم[1]، فجعلوا من بلاطهم مجالسا للعلم[2]، إذ توّفر هذه المجالس الفرصة لأكابر العلماء والطلبة من الإفادة والاستفادة، كما كان اهتمامهم ملحوظا بالفقهاء الذين امتازوا بمستوى علمي بارز ونشاط دؤوب في مجال التدريس، وأرسوا مؤسسات تقوم بدور فعال في مجال التعليم، كاهتمامهم بالمساجد التي عدت إلى جانب وظيفتها التعبدية مركزا هاما للتعليم، ظل يزاول هذا الدور بالتوازي مع المدرسة، هذا السلوك يعبّر عن الإيمان الديني والعلمي للسلاطين، كما يجسّد تقليدا عاما في الدولة الإسلامية نشرا للعلم واكتسابا للثواب ودعما لشرعية الحكم أو تحقيقا لدعوة مذهبية.[3]

وعليه عدّ بلاط السلطان الزياني يغمراسن بن زيان(681هـ/1238 . 1282م) قبلة مفتوحة للعلماء من داخل تلمسان وخارجها[4]، وهو ما صرّح به صاحب نظم الدر«وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله.»[5]

من خلال هذا الاهتمام البالغ باستقدام العلماء، ورعاية مصالحهم هيّأ لمن بعده من السلاطين من أن يقتفوا أثره، وهو ما كان عليه ابنه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن(681 . 703هـ/1282 . 1290م)، حيث احتفظ بما كان من رجال العلم في بلاط أبيه، وفي أيّامه مات أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[6] "ت680هـ/1281م" "فحضر جنازته بنفسه."[7]

أمّا خلفه السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو الأول(718. 737هـ/1318. 1337م) فقد عقد مجلسا للعلم والتعليم، تدرس فيه العلوم، وتعقد فيه الندوات العلمية، والفكرية، والفقهية، وتثار فيه المناقشات التي يشارك فيها مجموعة من كبار العلماء[8]، وصفه التنسي بقوله«... كان له بالعلم وأهله احتفال، وكانوا منه

بمحل تهمّم واهتبال، وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن قاضي الجماعة أبو موسى عمران المشدالي[9]، أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فأكرم منزله، وأضفى عليه من رعايته وإحسانه، وألحقه بجانبه، وولاّه التدريس بمدرسته الجديدة.[10]

ولم يقتصر اهتمام أبو تاشفين بن أبي حمو الأول بجمع العلماء والاعتناء بهم فحسب، بل تعدى ذلك إلى أن كوّن لهم مجالس علمية في بلاط سلطانه، وجعل من هذه المجالس فرصة للعلماء في التباري والمناقشة، مع حضور الطلبة صغار السن للاستفادة والإفادة، كما كان يحضر هو بنفسه للمناظرات التي تحدث بين العلماء، تاركا لهم حرية التعبير العلمي في أسمى معانيها.[11]

وأمّا بلاط السلطان أبي حمّو الثاني(760. 791هـ/1358 . 1388م) فكان على نفس النسق، بل يعتبر عهده من أزهى العصور علما وفنا في الدولة الزيانية، فازدهرت في عهده العلوم، وتوسعت آفاق المعرفة، حتى صارت تلمسان قبلة لعلماء إفريقية والأندلس في الفتوى، وما أشكل من مسائل علمية في المنقول والمعقول.[12]

ونستشف حرصه على أهل العلم وصيته لابنه بضرورة مجالسة الفقهاء والعلماء والأشراف الموسومين بالصلاح والرشاد، العارفين بالحلال والحرام، وكذلك الأشراف من أصحاب الفطنة وفصاحة اللسان والمخلصين له، النّاصحين سرا وعلانية، وإيثار العابدين والصالحين والعلماء، وبناء دور العلم والعبادة والتمام على أهلها محددا أهداف ذلك.[13]

ولما تولى ابنه السلطان أبو زيان(796. 801هـ/1394. 1399م) مهام الدولة، أصبح بلاطه مؤسسة علمية حقيقية، تقوم على أداء مهام التعليم فيها بتواصل منقطع النظير[14]، قال عنه صاحب نظم الدر« فأقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم مجالسها، واتساقها، وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها...، فلاحت للعلم شموس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس ونفوس... فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة.»[15]

استمرت مجالس السلاطين في العهود اللاحقة على نفس الوتيرة من اتخاذها

كمؤسسات علمية، تلقى فيها الدروس، فمهّدوا الطريق للعلم والعلماء، ويسّروا سبله، وحفّزوا طلبته، وشجّعوا الاعتناء به بما كانوا يقدّمون من مساهمات مادية وأدبية، جعلت من تلمسان عاصمة للعلم يفد إليها العلماء من الأندلس ويحتفي بعلمائها في المشرق والمغرب.[16]

أهم المؤسسات المساهمة في نشر العلم في تلمسان الزيانية:

أولا: المساجد:

كانت المساجد قبل تأسيس المدارس والزوايا، هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة والمصلّين في حلقات دراسية داخل المسجد أو في بعض الغرف الملحقة به[17]، ونظرا لكثرتها نكتفي بالحديث عن أهمها كالمسجد الأعظم الذي كان له أثر كبير في النهوض بالحركة الفكرية بتلمسان، حيث ظهرت فكرة الدراسة به في عهد السلطان يغمراسن حين قدم إلى تلمسان الشيخ العالم أبو اسحاق إبراهيم ابن يخلف التنسي كبير علماء زمانه الذي كان يعقد مجالسه العلمية بهذا المسجد، وكان يفد إلى سماعه الفقهاء والقضاة وحتى يغمراسن نفسه.[18]

حافظ الجامع الأعظم على دوره التعليمي عبر عصور الدولة الزيانية، فقد درّس فيه الكثير من العلماء[19] أمثال العالم أبو عبد الله الحسني الشريف التلمساني[20]، وتخرّج على يديه الكثير من الطلبة والأعيان الفضلاء، وتبعه في ذلك العديد من كبار العلماء، وكلهم شكّل حلقات متوالية، كان الجامع الأعظم يؤدي فيها دوره التعليمي بكفاءة واقتدار.[21]

إلى جانب هذا المسجد نجد مسجد أبي الحسن التنسي الذي أقامه السلطان أبي سعيد عثمان الأول سنة 696هـ/1296م[22]، وهو يقع إلى الجنوب الغربي من المسجد الأعظم، ويعدّ تحفة معمارية في غاية الجمال رغم صغر حجمه.[23]

ومن المساجد المهمة أيضا مسجد ابني الإمام[24] بناه السلطان أبي حمو موسى الأول إكراما للأخوين الفقيهين اللذين وردا تلمسان، وذلك سنة 710هـ/1310م، وألحقهم بالمدرسة المنسوبة إليهما.[25]

ولعل أهم مسجد كان له أثر في نشر إشعاع العلم مسجد سيدي إبراهيم المصمودي[26]، الذي يقع إلى الشمال الشرقي من المشور[27]، وهو متوسط الحجم

جمع في عمارته بين المؤثرات الزيانية المرينية، وقد خصّصت لهذه المجموعة عدة أوقاف خاصة بمعلمي العلم، طلبته، الإمام المؤذن.[28]

المدارس:

اهتم سلاطين بني زيان بالمدارس هادفين من ذلك نشر التعليم والثقافة من جهة، وتوجيه الرعية وجهة تخدم مصلحة المذهب والدولة، وبعث الاستقرار والسكينة والأمن بين الرعية، لهذا كانوا يشرفون على المدارس إشرافا مباشرا، ويؤكدون على مواضيع الدراسة بها، وإفهام الناس عامة، ولما كان سلاطين بني زيان مالكيين، فقد كانوا يؤكدون على تدريس الفقه والأصول المستمدة من أفكار المذهب المالكي وآرائه.[29]

ومن أشهر هذه المدارس:

1. مدرسة ابني الإمام: وهي أول مدرسة بنيت في الدولة الزيانية، وهي تحمل اسم ابني الإمام، وهما عالمان جليلان، بنى لهما السلطان أبي حمو الأول المدرسة المسماة بهما بتلمسان، وإلى جانبها دارين لهما، وذلك سنة710هـ/1310 م[30]، ولقد خرّجت هذه المدرسة خلقا كثرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل نجابة درس ونظر[31].

لهذا كان الانتساب إليهما والدراسة عندهما كفيلان بإعلاء قدر الطالب بالمشرق وجعله في مصاف كبار العلماء، فقد قال أحد الطلبة للمقري(الجد) عندما ذهب إلى القدس الشريف ونوقش في بعض المسائل:« فإن سئلت فانتسب لهما(ابني الإمام)، فقد سمعت منهما، وأخذت عنهما، ولا تظهر العدول إلى غيرهما، فتضع من قدرك، فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما، ووارث علمهما، وأن لا أحد فوقهما.»[32]

ولقد بقيت مدرسة ابني الإمام تزاول دورها على عهد أبي حمو موسى الثاني.[33]

المدرسة التاشفينية:

وتسمى باسم ثاني هي المدرسة الجديدة[34]، وهي تنسب لمؤسسها السلطان أبي تاشفين بن أبي حمو الأول، الذي كان مولعا بالبناء والتعمير، ومقدرا للعلماء، وقد أسست بالقرب من المسجد الأعظم[35].

استقدم إليه العلماء وعلى رأسهم أبو عمران المشدالي، فقد كان أعرف أهل عصره بمذهب مالك[36]، وحفظا لأقوال أصحابه، وعرفانا بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا[37].

ليستعمله السلطان الزياني في التدريس بمدرسته الجديدة لما برهنه من اقتدار علمي جبار، فدرس بها العلوم النقلية والعقلية كالحديث، والفقه، والأصلين، والفرائض، والمنطق، والجدل.[38]

ويعود تعيين أبي تاشفين له رغبة منه في أن يضاهي به أولاد الإمام، ورغبته في تنشيط الحركة الفكرية بتلمسان، والحفاظ على استمرار نشاط هذه المدرسة بإسنادها لجيل جديد من الطلبة، وقد كان اختيار السلطان له صائبا إذا أخذ عليه جماعة من طلبة تلمسان.[39]

مدرسة العباد:[40]

تولى بنائها السلطان أبو الحسن المريني(752731هـ/1330 .1351م) سنة 747هـ/1346م بعدما استولى على تلمسان سنة 737هـ/1336م، أوقف عليها وعلى طلبة العلم خصوصا الكثير من الجرايات، وجاء اهتمامه بالعباد نظرا لأهميته كمركز ديني واجتماعي، وكذا للفترة الطفولية والشبابية التي قضاها به، مؤديا للصلوات ومستمعا لما يلقى في أحد مساجده بالعباد السفلي، وزائرا للصلحاء من الأموات والأحياء بالعباد العلوي، مهتما بكل ما يخص ذلك[41]، وقد درس بهذه المدرسة ابن مرزوق الخطيب، وابن خلدون، وابن مرزوق، وغيرهم من العلماء، ممّا يؤكّد مساهمة هذه المدرسة في إنتاج جيل من العلماء.[42]

المدرسة اليعقوبية:

أنشأها السلطان أبو حمو الثاني سنة 765هـ/1363م على روح والده المولى أبي يعقوب يوسف، وهو ما صرّح به صاحب البغية:«وجّه العناية والاهتمام إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده المولى المقدس أبي يعقوب رضوان الله عليه، فولى شطرها بصر الاختبار، ومدّ إليها الإنفاق فضاعف بها الفعلة، وأحمد المغارس، وأسمك المصانع، وأرحب الأبنية، وحبر الغروس، واستجلب المياه، وأجزل الأوقاف، وعين الجرايات، ورسم فيها الخطط».[43]

تولى التدريس بها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، وكان اعتماده في التدريس على منهج إعمال العقل والنظر، وفي الغالب كان «حسن المجلس كثير الحكايات، ممتع المحضر عذب الكلام، منصفا في البحث والمناظرة، كثير البسط بلا...ولا سرف، خبير بأخبار النفس وتزكيتها وتطهيرها، مذللا صعاب الأمور»[44]، تخرّج على يديه الكثير من العلماء الكبار الذين ازدانت بهم تلمسان وحواضرها.[45]

ولقد تولى التدريس بعد وفاته ابنه أبو محمد الشريف، الذي كان من نجباء طلبة والده بهذه المدرسة، وجرى على " مذهبه نظرا ونقلا وتحقيقا، واعترف العلماء بتقدّمه.[46]

مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي أبركان[47]

موقعها قُرب مسجد سيدي أبي الحسن بن مخلوف، أمر ببنائها السلطان أبو العبّاس أحمد العاقل (843-866هـ/1430-1462م)، وأوقف عليها الأوقاف بعدما وجد الكثير من أحباسها قد اندثر، والوظائف انقطعت فأحيا رسمها، وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه.[48]

وخلاصة القول لقد حقّقت المدرسة الزيانية طموح السلطة الزيانية في دعم المذهب المالكي، وتوفير عمال مخلصين للدولة الزيانية، لم تكن سوى تكميلا لمجهودات الدولة في الإشراف على التدريس بالمساجد العظام، كما كانت المدرسة الزيانية عامل صمود وتوحيد اجتماعي وايديولوجي، تم من خلالها ازدهار المذهب المالكي والحركة الفكرية بتلمسان، وأكثر من ذلك فقد كانت الجهاز الذي يكوّن الموظفين للدولة، وفق المذهب الديني الذي أقرّته.[49]

خزائن الكتب:

الظاهر أن السلاطين الذين قاموا ببناء المدارس قد جهّزوها بما كانت تحتاجه من خزائن للكتب على عادة المدارس في ذلك العهد، فاشتهر السلطان أبو حمو موسى الثاني بتأسيسه لمكتبة عمومية في تلمسان، وجلب لها مختلف الكتب[50]، ولقد تنوعت مشارب خزائن الكتب منها قصور الحكّام، و المساجد والمدارس والزوايا، ولعل الأولى من أعظم الخزائن مقارنة بما تحتويه المساجد والمدارس

والزوايا، وخزائن الأسر، فقد أهدى السلطان أبا حمو موسى الثاني خزانة كتبه إلى المسجد الجامع[51]، كما عنى ابنه السلطان أبو زيان بتأسيسه لخزانة ضخمة للكتب بالجامع الأعظم من تلمسان.[52]

وعليه ساهمت خزائن الكتب في مدّ الحركة العلمية بنفس طويل، مكّنت العلماء والطلبة والعامة من الرجوع إلى ذلك المخزون الثقافي، والاغتراف منه، وكانت سببا في الارتقاء بنوعية العلوم، وفي تنوير المجتمع، بما جعل منه مجتمعا علاقته بالكتب كعلاقته بالغذاء.[53]

الواقع العلمي لتلمسان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

استمرت الحياة العلمية متدفقة في تلمسان في القرن التاسع الهجري/15م، ممّا جعلها قبلة الطلبة من خارج تلمسان خاصة منهم الأندلسيون، وهو الأمر الذي نقله لنا القلصادي[54] كشاهد عيان أثارته تلمسان واحتوته بين ظهرانيها قائلا:« وأدركت فيها كثيرا من العلماء، والصلحاء، والعباد، والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرقة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقبة، فأخذت فيها بالاشتغال على أكثر الأعيان، المشهود لهم بالفصاحة واللسان.»[55]

وهذا الإشعاع العلمي الحاصل في تلمسان استهوى الفقيه أبي الفضل المشدالي[56]، فارتحل إليها طلبا للعلم، وهو ما نقله لنا السخاوي قائلا« ثم رحل في أول سنة أربعين وثمانمائة(840هـ/1436م) على تلمسان، فبحث على محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير، وأبي القاسم بن سعيد العقباني، وأبي الفضل بن الإمام، وأبي العباس أحمد بن زاغو، وأبي عبد الله محمد بن النجار المعروف لشدة معرفته بالقياس بساطور القياس، وأبي الربيع سليمان البوزيدي، وأبي يعقوب يوسف بن إسماعيل، وأبي الحسن علي بن قاسم، وأبي عبد الله محمد البوري، وابن افشوش، فعلى الأول: في التفسير، والحديث، والفقه، والأصلين، والأدب بأنواعه، والمنطق، والجدل، والفلسفيات، والطب، والهندسة، وعلى الثاني: الفقه، وأصول الدين، وعلى الثالث، التفسير، والحديث، والطب، والعلوم القديمة، والتصوف، وعلى الرابع: التفسير، والفقه، والمعاني، والبيان،

والحساب، والفرائض، والهندسة، والتصوف، وعلى الخامس: في أصول الفقه، والمعاني، والبيان، وعلى السادس: في أنواعه، والهيئة، وجر الأثقال، وعلى التاسع: في التقاويم، والميقات بأنواعه، من فنون الاسطرلاب، والصفائح، والجيوب، والهيئة، والأرتماطيقي، والموسيقا، والطلسمات، وما شاكلها، وعلم المرايا والمناظر، وعلم الأوقاف، وعلى العاشر: في الطب، ثم عاد إلى بجاية في سنة أربع و أربعين وثمانمائة(844هـ/1440م) وقد برع في العلوم، واتّسعت معارفه.»[57]

وعلى الرغم من هذا التفوق العلمي المشهود في تلمسان إلا أن أحد الباحثين يعلّق بأن هذا الأمر لا يعدو في كثير من العلوم سوى عمليات النقل، أو الشرح، التي استمرت بعد ذلك معطية مسحة ثقافية، ظاهرها علمي، وباطنها اجترار للعلوم السابقة وتقديس لها، ولم يكن الإنتاج الفكري في الجملة يتميز بأيّة صبغة جديدة.[58]

وهذا الواقع يؤكّده لنا الشيخ السنوسي[59] " ت895 هـ/1489م" منتقدا حال عصره «فكيف لو رأى هؤلاء الأئمة . يقصد أئمة السلف السابقين . رضي الله عنهم زماننا الذي أدركناه، والله المستعان وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو آخر القرن التاسع الذي آن فيه خروج الدجال، وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك من الأشراط الكبرى، فإن معاملتهم صادقين بحيث يجد المسكين الطالب للآخرة من يصح الإقتداء به في أقواله وأفعاله، ويجد من يعينه على عزمه والزيادة في أحواله، وأما زماننا هذا الصعب النّكد فلم يظهر فيه إلا قطاع طريق الله إن خالطهم أحد لأخذ علم أو دين ظل . إن لم يأخذ الله بيده . واتخذ إلهه هواه، وإن أمسك بدأ عن المخالطة ليسلم له دينه وعقله احتوشته حينئذ الشياطين، وأعانهم على ما قصدوا منه جهله فأنى له السلامة في كلتا الحالتين، وكيف لا يبكي الذي في زماننا، وغاية ما يتصف به أكابر العلماء الذين إليهم المرجع في أمر الدين وإنعامه . لو وفّق الله . وأشرف أحوالهم أن يصيروا من أكاب الظلمة على ظلمهم، والمشاركة لهم في ذلك قولا وفعلا، من غير مبالاة في ذلك، كأنّهم سلبوا حقيقة دينهم وعلمهم، وأما من يظهر من أولياء زماننا فأكملهم من له حسن نيّة، وقصد خير للمسلمين، لكن تجد شياطين الجنّ

والإنس تحتوشه حتى يفسدوا عليه ذلك، ويردوه . إن لم يعصمه الله . إلى أقبح حال، ويغرونه بإظهار القبيح في قالب الحسن حتى يشاركهم، فيما هم عليه من فاسد الخلال، وإنّا إليه راجعون. »[60]

هذا التراجع الفكري في تلمسان أعابه أيضا الفقيه المقري، فانتقد طريقة التعليم السائدة آنذاك، والقائمة على الاجترار للمسائل الفرعية في الفقه«فقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها ممّا نقص منها لعدم تصحيحها، وقلة الكشف عنها...وأفنوا أعمارهم في حلّ لغوزه، وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضّعيف من ذلك والصّحيح، بل هو حل مقفل، وفهم مجمل، ومطالعة تقييدات، زعموا أنّها تستنهض النفوس. »[61]

النقد ذاته نلحظه عند الشيخ السنوسي الذي يعيد ليؤكد في مواضع أخرى عن هذا التردي الفكري، منتقدا بشدة علماء عصره قائلا :«وتجد أذهان هذا الزمان جامدة صعبة الانقياد للفهم، مائلة أبدا إلى ما لا يعني، إن نُصحت لم تقبل، وإن عُلّمت لم تتعلّم، وإن فُهّمت لم تفهم، وإن فهمت تفلّت منها فهمها عن قرب، وإن بقي شيء منه بطرت وجعلته سلّما للدنيا، ولصحبة الظلمة والتقرب إليه، إلاّ من عصمة الله بفضله، وما أندر وجوده اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.»[62]

أشهر العلماء بتلمسان في المائة التاسعة.

1. أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري التلمساني، الشهير بابن زاغو، هو الشيخ الفقيه الإمام المفتي، المصنّف، المدرّس، المؤلّف، أعلم الناس في وقته بالتفسير، وأفصحهم في التعبير، له قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم، والفهم المستقيم، وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة.[63]

حلاّه الحفناوي بقوله« وأفعاله مرضية، وسجاياه محمودة، لولا عجائب صنعه تعالى ما يثبت تلك الفضائل في لحم وعصب، لا أعلم عنه أنه كان يأمر

بفعل ويخالفه».[64]

من مؤلفاته: الإحياء ومختصره، وتفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض، وشرح التلخيص، ومختصر ابن الحاجب الفرعي، ومختصر الشيخ خليل، ومنتهى التوضيح.[65]

توفي سنة 845 هـ/1441م زمن الوباء، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأعظم، ودفن خارج المدينة بطريق العباد.[66]

2. الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني، الشهير بابن الإمام، الفقيه الإمام الصدر الجامع بين المنقول والمعقول، رحل إلى المشرق وحجّ، ودخل تونس و القاهرة، وزار بيت المقدس ودمشق، فتزاحم الناس على مجلسه هناك، توفي سنة 845 هـ/1441م.[67]

3. الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن النجار، الإمام الفقيه المشارك في العلوم النقلية والعقلية من أعيان المالكية بتلمسان، ولد ونشأ بها، عاش في عهد أبي تاشفين، فدخل في خدمة الدولة الزيانية، ولما استولى أبو الحسن على تلمسان، ألزمه مجلسه ورافقه إلى إفريقية[68]، تتلمذ على يد الآبلي الذي قال فيه: « ما قرأ أحد علي حتى قلت له لم أبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار»، توفي بالطاعون سنة 846 هـ/1442 . 1443م، صلي عليه ودفن بمقبرته من بستانه خارج باب الجياد.[69]

4. الإمام أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني، الإمام الفقيه الصدر العالم الحسيب، إمام جامع الخرّاطين، توفي سنة 847 هـ/1443. 1444م، دفن بباب الجياد.[70]

5. أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد التجيبي العقباني التلمساني الفقيه الإمام الرحالة، العالم شيخ الإسلام ومفتي الأنام، قاضي الجماعة بتلمسان، نبغ في الفقه والفتوى والحساب والحديث والأصول والتفسير والبيان واللغة، وظهر ذلك عليه منذ صغره، وامتلاكه لأدوات العلم هذه مكنته من الوصول إلى رتبة الاجتهاد، وصفه تلميذه القلصادي بوصف مطول يبين حقيقة ما وصل إليه من العلم، فقال: «شيخنا وبركتنا الإمام الفقيه المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر العديم

النظراء والأقران المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان، سيدي أبو الفضل قاسم العقباني رضي الله عنه، ذو أبهة وبهاء وحبوة مملوءة من علم، خالية من إزدهاء، وخلقة سمت في مطالع الحسن إلى أنهى كمال وأكمل انتهاء، انفرد بفني المعقول والمنقول، واتّحد في علمي اللسان والبيان، وهو فيما عدا ذلك يفوق الصدور، ويقبض على مزاحمة البحور»،[71] ووصفه التنبكتي والحجوي بـ «شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد العلامة الحافظ القدوة العارف المجتهد المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد القدوة الرحلة الحاج».[72]

اشتغل بالتدريس وعكف على التعليم والتأليف والإفتاء، قال القلصادي: «ولي القضاء بتلمسان في صغره ورأى أمله في ذريته في كبره، وأحرز في العلوم قصب السبق وحازه وقطع فيه صدر العمر، وأمتع جهابذة النقاد وأسمع كل الأسماع ما اشتهى وأراد».[73]

وكان محمود السيرة في قضائه وتدريسه، وأخلاقه حسنة مرضية دمثة «قلّ أن يرى الراؤون مثلها»، واستمر حاله كذلك إلا أن وافته منيته سنة 854 هـ/1450 . 1451م من شهر ذي القعدة،[74] وعمره إذ ذاك 86 عاما وله في قضاء الجماعة نصف عمره أي 43 عاما، وأكثر منها في التدريس والفتوى، من مصنّفاته شرح الرسالة، وشرحان على المدونة، وأرجوزة في اجتماع الصوفية، وتعليق على فرعي ابن الحاجب.[71]

6. الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي الحباك التلمساني، الإمام الفقيه العالم الفرضي الفلكي، قال عنه التنبكتي« كان فقيها علامة صالحا عدديا فرضيا معدلا»[72]، له بغية الطلاب في علم الاسطرلاب[73]، وتحفة الحساب في عدد السنين والحساب، شرح تلخيص ابن البناء، ونظم رسالة الصفار في الاسطرلاب، وشرح على التلمسانية في الفرائض، ونيل المطلوب في العمل بربع الجيوب، توفي سنة 868 هـ[74]

7. أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني، الشهير بابن عباس: العالم العلامة الفقيه الإمام الصالح المحقق المتفنن المحصل القدوة المفتي النحوي، شيخ الجماعة بتلمسان، عدّه ابن مريم من أكابر علماء

تلمسان، وأحد أوعية العلم بها[75]، قال فيه الحفيد ابن مرزوق« شيخنا ومفيدنا، العالم المطلق، الإمام الكبير الشهير»[76]

له تآليف في فنون شتى وعدة فتاوي في المعيار والدرر المكنونة، من مؤلفاته: شرح لامية الأفعال، وشرح جمل الخونجي، والعروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقاء.[77]

توفي بالطاعون آخر سنة 871 هـ/1466م، ودفن بالعباد.[78]

8. الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عيسي المغيلي التلمساني، الفقيه الحافظ، الشهير بالجلاّب، أحد فقهاء تلمسان الحافظين لمسائل الفقه، وقد نقل عنه المازوني والونشريسي في نوازلهما، توفي سنة 875 هـ/1470م.[79]

9. الإمام محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، الفقيه الشيخ العالم العلامة البارع، العلامة، قاضي الجماعة بتلمسان، توفي سنة 871هـ/1466م.[80]

10. الإمام أبو سالم إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، الشيخ العالم الفقيه العلامة، الحافظ مفتي الأمة، القاضي الفاضل، تتلمذ على يد والده قاسم العقباني، وأخذ عنه العلوم والمعارف خاصة الفقه، تصدى للتعليم والتدريس والإفتاء كغيره من علماء عصره، وولي قضاء الجماعة بتلمسان، درس على يديه الكثير من العلماء على رأسهم الونشريسي الذي نقل عنه بعض فتاويه في المعيار، ونقل عنه أيضا المازوني في نوازله،له تعليقة على ابن الحاجب،كانت وفاته بتلمسان سنة 880هـ/ 1475م، ودفن بها.[81]

11. الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، الفقيه الجليل، الحافظ الأديب، الإمام القدوة، علم الأعلام، الحافظ المحقّق، من أكابر العلماء بتلمسان، توفي سنة 899هـ/1494م، من مؤلفاته نظم الدر والعقيان في دولة آل زيان ومن ملك من أسلافهم من فيما مضى من الزمان، وروح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح، وتعليق على مختصر ابن الحاجب، والطّراز في ضبط الخراز.[82]

12. أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني، المعروف بالرصاع، الفقيه العالم العلامة الصالح المفتي، ولد بتلمسان ونشأ بها، ثم انتقل إلى تونس وولي قضائها، أخذ عن قاسم العقباني، والبرزلي، توفي سنة 894 هـ/1489م.[83]

13. الإمام أبي العباس أحمد بن زكري المانوي التلمساني، الإمام الأصولي المفتي، المحدث الفقيه الأصولي المتكلم، الجامع بين الأصول والفروع، الناظم الناثر البارع، صاحب التآليف، مات والده وهو صغير السن فدفعت الحاجة بأمه إلى إرساله لتعلم الحياكة فأحكم الصنعة، وبقي يعمل عند نفس المعلم، وبمساعدة من أحد فقهاء تلمسان تمكن من الالتحاق بالتعليم، فبلغ شأنا عظيما، وانتهت إليه الرياسة في زمانه، برع وألّف كتابا في مسائل القضاء والفتيا، وشرح عقيدة ابن الحاجب سمّاه بغية الطالب، ومنظومته الكبرى في علم الكلام، وشرح الورقات لإمام الحرمين أبي المعالي في أصول الفقه، وله فتاوي منقولة في المعيار للونشريسي، توفي سنة 900هـ/1494م.[84]

14. أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي المعروف بالكفيف، الشيخ الإمام، علم الأعلام، سلالة الأولياء، وخلف الأتقياء، المسند الرواية المحدث، العلامة المتقن، القدوة الحافل الكامل، ابن شيخ الإسلام، خاتمة العلماء، أخذ عن أبيه والإمام قاسم العقباني، والإمام أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي، وغيرهم كثير، توفي سنة 901هـ/1493م.[85]

15. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإمام العالم العلامة الفهامة، خاتمة المحققين، القدوة الولي الصالح السني، أحد الأذكياء المتقدّمين في الفهم وقوة الإدراك، مع فرط المحبة للسنة والشريفة ونصرتها، وبغض أعدائها، وهو الذي اشتهر بمواجهته ليهود توات[86]، من مؤلفاته: البدر المنير في علم التفسير، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، وأسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي، وأحكام أهل الذمة، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، وتأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، وشرح بيوع الأجل من كتاب ابن الحاجب، توفي سنة 909هـ/1505م.[87]

الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش، الفقيه الأصولي، رحلت عائلته من الأندلس، واستوطنت تلمسان، وبها ولد وأخذ عن علمائها الأجلّة، له فتاوى نقل بعضها في المعيار، وتأليف كبير في الأسماء الحسنى في سفرين، توفي سنة 911هـ/1507م.[88]

المدرسة الفقهية المالكية وحضورها من خلال فقه النوازل:

كتب النوازل وأهم خصائصها:

عمد حكّام الزيانيين إلى دعم المذهب المالكي وتوطيده، وجعله المذهب الرسمي للدولة، ولم يجدوا صعوبة في ذلك لأن التلمسانيين كانوا قد اختاروا هذا المذهب منذ زمن بعيد قبل ظهور دولة المرابطين*، وإقامة دولتهم، فانسجموا مع مقتضياته، وتكيّفوا مع متطلّباته لأسباب اجتماعية وطبائع أهل المغرب في حبّ البساطة، وعدم التّعقيد من جهة، ولطبيعة المذهب من جهة ثانية، فأصبح مذهب الأغلبية بلا منازع.[89]

وعليه استطاع فقهاء المالكية في بلاد المغرب الأوسط فرض أنفسهم وسط مجتمعات بربرية ريفية، ولقد أضاف أحد الباحثين أسباب هذا الحضور المالكي القوي إلى توفيقهم بين مبادئ المذهب والعادة أو العرف، فقلّما يكون هناك اعتراض على التشريع العرفي، ممّا مكّن لتلك المجتمعات الريفية البربرية المحافظة على خصوصيتها، ومن أسباب نجاحهم أيضا الانتشار السريع نتيجة تدريس تآليفهم، ودعم الجهاز الحاكم لهذا المذهب.[90]

وعليه عرفت المدرسة الفقهية المالكية فضل السبق في مجال التأليف في فقه النوازل لمجاراتها التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهو فقه معتمده الإجابة عن ما هو واقع دون الخوض في افتراض المسائل التي لم تقع، وهذا جريا على عادة الإمام مالك رحمه الله من عدم جوابه عن الأسئلة الفقهية وغيرها إن لم تقع.

وتعدّ هذه المؤلفات النوازلية مصدرا مهما يرجع إليه في مجالات شتى، فيستفيد منها: الفقيه، والمفتي، والقاضي، والسياسي، والمؤرخ، والاقتصادي، وغيرهم.

وعليه نلحظ لعلماء تلمسان دور بارز في هذا المجال، وقد اشتهر من بينهم ابن مرزوق في نوازله، والمازوني بكتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة، كما اشتهر الونشريسي بكتابه المعيار المعرب.

أولا، ترجمة موجزة لأصحاب النوازل الثلاث:

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر العجيسي التلمساني، الشهير بابن مرزوق الحفيد، الإمام المشهور العلامة الحجة الثقة الثبت، المفسر المحدث الرواية الفهامة، الحافظ النظار المحقق الكبير، اتصف بالنزاهة والتواضع والعفة، له معرفة بالعربية والفنون، وحسن الخط، والخلق والوفاء والمعرفة والأدب التام[91]، شغل حياته بالقراءة والتدريس والعلم والفتيا والتصنيف، وصفة التنبكتي بـ« شيخ الشيوخ وخاتمة النظار، ذو التحقيقات البديعة والأبحاث الأنيقة الغريبة.»[92]

حلاّه تلميذه المازوني بقوله: « شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين، ذو التصانيف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والحقوق».[93]

قال عنه القلصادي: «قطع الليالي ساهرا، وقطف من العلم ظاهرا، فأثمر وأورق، وشرّق وغرّب.»[94]

كانت الأسئلة تأتيه من علماء تونس والأندلس للإجابة عنها، بعد أن أصبح صيته ذائعا في ربوع البلاد الإسلامية، وقد صنّف بعض الكتب الخاصة للإجابة على أسئلة بعض العلماء من ذلك نص الفتوى التي أجاب بها عن طهارة الكاغد الرومي[95] الذي اكتسح عالم النسخ، ولأهمية الموضوع جاءت هذه الفتوى على شكل كتاب سمّاه«تقرير الدليل الواضح المعلوم، على جواز النسخ في كاغد الروم»[96]، وقد صدرت الفتوى في التاسع من ربيع الثاني عام 812 هـ/1409 م، كما ذكر ابن مريم أن لابن مرزوق الحفيد مؤلفين في الموضوع هما " الدليل المومي في طهارة الكاغد الرومي"، و" الدليل الواضح في طهارة كاغد الروم".[97]

كما صنّف بعض الكتب الخاصة للإجابة على أسئلة بعض العلماء منها "اغتنام الفرضة في محادثة عالم قفصة"، وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من عالم قفصة العلامة أبي يحي ابن عقيبة.[98]

وكتاب " المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج"، أجاب فيه الإمام ابن السراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية.[99]

من مؤلفاته الأخرى: اختصار الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور، شرح البخاري، وشرح مختصر خليل وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح[100]، والذخائر القراطيسية في شرح الشقراطيسية، والروض البهيج في مسائل الخليج، ومنتهى الأمل في شرح الجمل، والنور البدري في التعريف بالمقري[101] ، توفي سنة 842 هـ/1439 م، وصلى عليه بالجامع الأعظم، بعد صلاة الجمعة، ودفن بالروضة.[102]

مضامين نوازله:[103]

تعالج نوازل ابن مرزوق[104] وقائع اجتماعية وسياسية واقتصادية في الفترة الممتدة من القرن 8هـ/14م إلى غاية بداية القرن 9هـ، ونلحظ فيه محدوديّة النوازل التي أفتى فيها علماء المغرب الأوسط، ولعلّ من أهم المسائل التي عالجها مسألة " الروض البهيج في مسائل الخليج" [105]، وهو عبارة عن مؤلف كما ذكر ابن مريم، ذو أوراق قليلة [106]، تضمّن نازلة وقعت بتلمسان تتعلق بالضرر، ونوقشت بشكل موسع مع إثراء من طرف تلميذه أبو عبد الله بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي.[107]

استخدم فن المناظرات الفقهية في الإفتاء[108]، ففي نوازل المعاوضات والبيوع أورد مناظرة علمية في حلية البيع وصحته، جرت بين الإمام المشدالي البجائي والإمام التلمساني[109].

ومن المناظرات أيضا تلك التي جرت بين سعيد العقباني -وهو يومئذ قاضٍ بسلا- وأحمد بن قاسم مفتي فاس المعروف بالقباب (ت 778 هـ) حول ما يسمى مسألة "درهم الإعانة"، أي الضريبة التي طرحها تجّار البزّ (القماش)،[110] وقد جمع العقباني هذه المناظرات في كتاب سماه "لباب اللّباب في مناظرة القباب"،[111] وله مع القباب أيضا مناظرة أخرى حول مسألة في فقه الأحوال الشخصية تتعلق بالإيلاء.[112]

ثانيا: أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني

التعريف به:

يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي[113] المازوني[114]، الفقيه النوازلي، اتّصف بخلال حميدة كالتواضع، ونستشف ذلك في طريقة تأليفه ، قوله:« ولم أتجاسر على تنفيذ حكم في قضية فيها احتمال وحدي، حتى أكون على بصيرة من ذلك، كي لا أهلك مع كل هالك.»[115]، وقوله في اختصار مقدمته:« وصنت جميع ذلك في كراريس عديدة، على غير ترتيب خوف الضياع.»[116]

قال فيه شيخه ابن مرزوق:« أيها البحر الزخّار، وبقية العلماء النظّار في تلكم الأصقاع والقفار، ولولا وجودكم مثلكم فيها لخلت تلك الديار، وصارت إلى ما صارت إليه جهاتها كالقفار»[117]، وقال فيه شيخه أبو الفضل محمد بن أحمد العقباني، في صدر جواب عن سؤال كاتبه به:«الحمد لله، أطال الله بقاءك يا نعم الفاضل المفيد، وأدام توفيقك للنظر الصالح السديد»[118].

وقال فيه تلميذه الونشريسي:«القاضي، العالم، المجيد، المفيد، الجامع، الشامل، الحافل، الكامل، المشار إليه في سماء المعالي، بالأنام، الصدر الأوحد، العلامة النضار، ذو الخلال السنية، لمكاتبه الأكابر، وسني الخصال، شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا ومولانا وبركة بلادنا أبو زكريا سيدي يحي ابن الشيخ الفقيه أبي عمران سيدي موسى.»[119]

اشتغل بالتعليم والإفتاء والتدريس والقضاء في كلا من تنس ومازونة . لسنوات لا يمكننا تحديدها . فعلا صيته فيها، بعدها توجه إلى تلمسان تحت طلب من السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت، المتوكل على الله (873.866هـ /1461. 1468م) بعد أن اشتدت الفوضى والاضطرابات داخل الإمارة الزيانة بين الرعية والحكام، وذلك من أجل النظر في حوائج الرعية وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين، فلقي التحية والتقدير في تلمسان في آخر أيامه، وانصب فيها للتدريس والقضاء والاستشارة بالبلاط، فالتف حوله الطلاب والأنظار من جميع الشرائح، وأفاد واستفاد.[120]

توفي سنة 883هـ/1478م،[121] وقبره مشهور بحارة الرحيبة قرب باب الجياد

الحالي بمدينة تلمسان.[122]

الدرر المكنونة ومضامينه:

يعتبر المازوني من المرجعيات الفقهية المتأخرة في المغرب الأوسط، ويمثل اهتمامه بالجمع الموسوعي للفتاوي الفقهية نضجا فكريا في مجال الكتابة الفقهية، صرّح الشيخ أبو زكريا يحي المازوني سبب تأليفه لكتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة" بقوله:« ..فإنّي لما امتحنت بخطّة الفصل في عنفوان الشباب، وقادني إليها ما يعلمه الله من الأمور الصعاب، وكثرت عليّ نوازل الخصوم، وتوالت لديّ شكليات المعلوم، وقصر الباع عن إدراك مالا يتطرق إليه التباس، من نص جليّ واضح قياس، لجأت إلى كتب فيما يشكل من نوازل الأحكام...فضمّنت ما كنت جمعت وما جمع مولاي الوالد رحمه الله، وما وجدته بيد بعض الخصوم، وبيد بعض قضاة وطننا من أجوبة المتأخرين المتضّمنة مسائل العبادات، ومسائل العادات، مع ما كنت أسأل عنه أو سأله غيري مما يقع لي مع الأصحاب في المذاكرات أو في مجلس الإقراء من إشكال في كلام ابن الحاجب، أو شرّاحه...»، وقوله: « مع ما كنت أسأل عنه أو سأله غيري، ممّا يقع لي مع الأصحاب في المذكرات، أو في مجلس الإقراء من إشكال في كلام ابن الحاجب أو شرّاحه، وفيما اعترض بعضهم على بعض ليقع لي التحقيق في المسألة.» [123]

أثبت المازوني في مصنّفه سعة اطلاعه على كتب العلماء، وخاصة المالكية من متقدّميهم ومتأخّريهم، فكانت مادة خصبة لنوازله وأحكامه، وعلى رأسها مهذّب والده[124] موسى بن عيسى المغيلي المازوني[125]، فهو الأصل الذي اعتمد عليه أصحاب الأحكام والنوازل وممّن جاء بعده في كتابة تصانيفهم.[126]

كما يظهر لنا جمعه الواسع لأقوال العلماء في المسائل التي يوردها، وموازنته بينها، واختيار الراجح منها.126

اشتمل الجزء الأول من كتاب الدرر على مقدمة وتسع عشر فصل على شكل مسائل[127]، أمّا المقدمة فقد بدأ فيها بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بين مكانة العلماء وأهمية تآليفهم، ليصل إلى التعريف

بكتابه مبينا أسباب تأليفه، ومجمل محتوياته، وطريقته في الصياغة، وعنوان الكتاب، وختم المقدمة بالدعاء والاعتذار.[128]

ثالثا: الإمام أبو العباس أحمد بن يحي بن عبد الواحد بن علي الونشريسي

الترجمة له: الإمام الكبير، المحصل، الأصولي النوازلي، العلامة، العمدة المحقق، المصنف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزاخر، الكوكب الباهر، حجّة المغاربة على أهل الأقاليم، وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم، حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة بالديار الإفريقية في وقته.[129]

ولد بجبال وانشريس[130] سنة 834هـ/1430م[131]، وانتقل إلى تلمسان وهو لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من عمره، وبها نشأ وتعلم، واكتملت ثقافته ونضج فكره، ولما بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة غادرها إلى فاس سنة 874هـ حيث كانت مستقره[132] إلى أن وافته المنية بها سنة 914هـ/1508م.[133]

أجمع من ترجم له على أنه من حفّاظ المذهب، ويكفي أن نذكر هنا ما نقله الكتاني في سلوة الأنفاس عن ابن عسكر صاحب الدوحة أن الإمام ابن غازي صاحب الكليات الفقهية(ت 919هـ)، وهو من كبار العلماء المعاصرين للإمام الونشريسي، قال لتلاميذه وقد مرّ به الشيخ أبو العباس وهو في حلقة دراسية بجامع القرويين:« لو أنّ رجلا حلف بطلاق زوجته أنّ أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه، كان بارا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته، لتبحّر أبي العباس وكثرة اطّلاعه، وحفظه وإتقانه.» [134]

لقد اتّفق جميعهم على كونه حجة المغاربة ورافع لواء العلم عموما، والفقه خصوصا في القرن التاسع الهجري، حيث كان يحقّق في دقيقات المسائل الفقهية بلسان عربي فصيح حتى قال من كانوا يحضرون درسه:«لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه.»[135]

أخذ عن جلّ شيوخ تلمسان، وأغلبهم من القضاة العدول والعلماء الفحول، الذين تربعوا على كرسي الفتوى ببلدهم، بل كانوا فقهاء نوازل على وجه الخصوص، ممّا أثّر إيجابيا في ثقافة الونشريسي النوازلية، فكانوا خير المكوّنين له، وكان خير ناقل لفتاويهم في موسوعته المعيار المعرب، تكلّم عن طائفة منهم في

كتابه الوفيات، منهم أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني، وأبي عبد الله محمد ابن عيسى العقيلي الجلاّب، وأبي سالم إبراهيم بن الشيخ الإمام قاسم بن سعيد العقباني، وابن مرزوق الكفيف وابن زكري التلمساني، وغيرهم كثير.[136]

ترك الونشريسي عددا من التآليف من أهمها موسوعته الشهيرة المعيار المعرب[137].

. في القواعد الفقهية، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، وعدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق.

. في الشروط والوثائق، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، وغنية المعاصر والتالي في شرح وثائق أبي عبد الله الفشتالي.

. في الفروق الفقهية، تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أجزاء.

. أجوبة فقهية أو فتاوى الونشريسي.

. وفهرسة بشيوخه.

. والوفيات.

. في السياسة الشرعية، الولايات في بيان الولايات الشرعية وخططها.[138]

أهمية كتاب المعيار ومضامينه:

جاء كتاب المعيار كموسوعة لكل مواضيع الفقه[139]، جمع فيه ما تناثر عند غيره، ورتّبه وضمّ إليه مستجدات النوازل والفتاوي وإجابات عنها وفق ما يراه مشروعا، ومناسبا لزمان النازلة ومكانها، وعرف الناس في بلدانهم، بناء على قاعدة:«لا ينكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الأزمان» لأن الأحكام الاجتهادية المبنية على العادة والعرف يجب أن تتغير عند تغيّرهما، وهذا إجماع لا ينازع فيه أحد.[140]

يذكر الونشريسي سبب تأليفه لكتاب المعيار « وبعد، فهذا كتب سميته بالمعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، جمعت فيه من أجوبة متأخّريهم العصريين، ومتقدّميهم، ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكانه، لتبدده وتفريقه، وانبهام محلّه، وطريقه، رغبة في عموم النفع به.»[141]

تتجلى أهمية المعيار على لسان الذين حلّوا الكتاب ممن ترجم لأبي العباس الونشريسي، فهذا التنبكتي في نيل الابتهاج يقول عنه:«جمع فأوعى»[142]، فقد كان مستوعبا لأكبر قدر ممكن من فتاوي علماء المالكية في الأندلس والمغرب وإفريقية، وحذا حذوه ابن القاضي واصفا إياه بأنه:«تأليف عظيم القدر في الفتوى»[143]، وتبعهما في ذلك الكتاني قائلا:«فاق به الأوائل والأواخر»[144]، ليزيد عنه صاحب فهرس الفهارس قائلا:«وهو من أعظم الكتب التي كادت تحيط بمذهب مالك».[145]

عكس لنا المعيار من خلال أسئلة وأجوبة الفقهاء، جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية في الأندلس والمغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري، بكل ما شملته من أحداث وتغيّرات، حتى سقوط الأندلس، ووقوع الساحل الغربي في يد الاحتلال الاسباني، وسقوط مدينة وهران في أيدي النصارى وذلك في سنة 914هـ، وهي السنة التي توفي فيها الونشريسي، كما أشار إلى بعض العادات، وطريقة العمران في تلك المناطق، وأظهر لنا من خلال الفتاوي والأسئلة بعض حالات السلم والحرب فيها، ولهذا فبالإضافة إلى كون المعيار موسوعة فقهية كبيرة، فقد عدّ مصدرا أساسيا وثيقا للمؤرخ وعالم الاجتماع والفقيه على حدّ سواء، ونظرا لأهميته وقيمته العلمية والفقهية فقد اهتم به الفقهاء، فلا تكاد تجد كتابا فقهيا ألفّ بعده إلاّ وفيه نقول منه أو إحالات عليه.[146]

وهو كما يلاحظ عمل تجميعي لنصوص الفتاوي، ولا محل للاجتهاد فيه، وقد أكّد الونشريسي نظرته للاجتهاد وفق روح عصره قائلا:« وقد حكى الناس أنه لم يبلغ في هذه الملة أحد بعد الأئمة الأربعة رتبة الاجتهاد، غير اسماعيل القاضي، ولكنه لم يتميز بمذهب خارج عن مذهب مالك، ولا أقدم على استنباط حكم يخالف أحكامه، وكل ما ظهر له مما شذ فيه عن مذهب مالك، تناوله بالإنكار أنظار العلماء، وكرت عليه بالتوهين والتضعيف، حتى أتلفت وأذهبت أثره، فلم يبق له رسم، فكيف تطمح نفس عاقل إلى تعاطي رتبة الاجتهاد، والنظر في قول مالك والشافعي وأبي حنيفة، وترجيح بعضها على بعض بهذه البلاد، وفي هذا

الزمان الذي غاية المفتي به، العارف الدين الفاضل، أن يكون قد مارس اصطلاح الفقهاء بعض الممارسة، ويكون عنده بعض دفاتر الفقه مقتناة في خزانته، فإذا وردت النازلة عليه، نظر في تلك الدفاتر، فإن وجد فيها نصا في النازلة المذكورة أفتى به، وإن لم يجد بقي لا يجد جوابا.»[147]

وهذا النص يعكس صورة واضحة عن الهيام العجيب بأقوال العلماء القدامى، والولوع بالبحث عما قالوه، وتجذّر روح الاستسلام للماضي، وتوهين روح البحث، والاجتهاد، والنقد، ويبرز بوضوح تام ذلك التصور الشائك الذي ضرب حول الاجتهاد، فلا يكاد يفكر في المرور إليه عالم أو عاقل.[148]

خاتمة

نخلص من خلال هذا العرض إلى مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

. كانت المدرسة الفقهية المالكية بتلمسان رائدة في ابتكار فقه النوازل خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، إذ استطاعت أن تبرهن على تميّزها بفضل علمائها الأجلاّء، الذين خرّجوا علماء فطاحل خدموا الفقه المالكي، وطوّروا منهجه، فقد كانوا من العلماء المحققّين، الأوفياء لدينهم، المخلصين في أفعالهم وأقوالهم، أبدعوا مصنّفات لازالت تشهد على حذقهم وتميّزهم.

. يتحرك فقه النوازل ويسكن بحسب حركة المجتمع وتطوره، وتخلفه، فكلما تغيرت الأحوال الاجتماعية والسياسية طرأ على المجتمع تحولات على كل المستويات ومسائل هم بحاجة لمعرفة حكم الشرع فيها، فيتوجهون إلى الفقيه النوازلي لينظر فيها، وينزل حكم الشرع فيها من القرآن والسنة أو من خلال النظر الاجتهادي.

. عبّرت المؤلفات النوازلية عن مدى تمكن الملكة الفقهية في نفس الفقيه، وقدرته على استنباط الأحكام من خلال الأصول، وتعكس عن مدى اقتداره في التعامل مع المستجدات، وإسهامه في إثراء الجانب التطبيقي في التعامل مع جديد واقعه الاجتماعي.

الهوامش

1. عملت الدولة الزيانية منذ تأسيسها على الاهتمام بالجانب الديني عبر ما أولته من عناية لأهل العلم والصلاح، وما أقامته من منشآت دينية وتعليمية تعدّ في أساسها أقرب مجال لاهتمامات الفقهاء ونشاطهم، وهذا راجع في الأساس إلى كون الدولة الزيانية لم يكن لها سند شرعي كالحفصيين ورثة المذهب الموحدي، والمرينين ورثة العاصمة الموحدية، بل كان قيامها على أساس العصبية القبلية. انظر، صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية " 633 . 791هـ /1235 . 1388م"، ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،2003 . 2004م.
2. الظاهر أن سلاطين بني زيان كانوا على دراية بأهمية العلم للسلطان، إذ المكانة العلمية التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان، ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية التي كان يتميز بها بعض سلاطين وأمراء بني زيان. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية وعمرانية، اجتماعية، ثقافية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه لنيل درجة دكتوراه دولة جامعة الجزائر، 1995، 300/2.
3. صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة في تلمسان الزيانية، ص271.
4. في هذا الصدد انظر، خالد بلعربي، تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد السلطان يغمراسن بن زيان (633 . 681هـ/1235 . 1282م)، مجلة الحوار الفكري، السنة الخامسة، العدد 7، الجزائر، 2005، ص . ص 135. 138.
5. التنسي، نظم الدر والعقيان، تح وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص126 . يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، 250/1.
6. أبو اسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، من كبار العلماء والفقهاء في أقطار المغرب، من مدينة تنس، استقدمه يغمراسن للتدريس في تلمسان، فاستوطنها، زار تونس ومصر والشام، كانت الفتاوي تأتيه من إفريقية، وتلمسان، إلى تنس، أقطعه يغمراسن بعض الاقتطاعات، من جملتها "ترشت"، توفي سنة 680هـ/1281م. للمزيد حول حياته وكراماته وشيوخه وتلاميذه انظر، أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008،ص 273. 292 . العبدري، الرحلة المغربية، تح أحمد بن جدو، كلية الآداب، الجزائر، 1965، ص11. التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص38 . التنسي، نظم الدر، ص126 . 127. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، البستان، نشر محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908، ص66 .
7. التنسي، المصدر نفسه، ص127.

8 . عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الإخوة منتوري، 2003 . 2004، ص 150.

9 . أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي، الفقيه العالم المتفنن القاضي، من كبار فقهاء تلمسان الحافظ المفتي المدرس المشارك في عدة علوم، ولد سنة 679هـ/1271م، فرّ من بجاية أثناء الحصار ونزل الجزائر، فبعث إليه السلطان أبو تاشفين، وأنزله من التقريب والإحسان بالمحل المكين، وولاّه التدريس بمدرسته الجديدة، وصف بأنه أعرف أهل عصره بمذهب مالك، بل لم يكن هناك من معاصريه من هو أعلم منه بمذهب مالك، وحفظا لأقوال أصحابه، وعرفانا بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا، توفي سنة 745هـ/1344م. انظر، التنسي، نظم الدر، ص141 . يحي بن خلدون، البغية، 130/1 .131 . الونشريسي، الوفيات، تح حجي محمد، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، ص114 . التنبكتي، نيل، ص350 . 352. المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح سعيد أعراب وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب، الإمارات العربية، 1400- 1980، 30/5. 32. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388، 223/5. صابرة خطيف، الفقهاء، ص85 . قريان، السياسة التعليمية، ص72 . 73.

10 . التنسي، ص141 . 142 . يحي بن خلدون، البغية، 130/1 . المقري، أزهار الرياض، 30/5.

11 . قريان، المرجع نفسه، ص45.

12 . قريان، السياسة التعليمية، ص251، وعن شخصية أبي حمو الثاني وآثاره العلمية انظر، التنسي، نظم الدر، ص161 . عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص . قريان، ص34 . 37.

13 . أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، ص109 + ص164 . 165.

14 . عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية، ص150.

15 . التنسي، نظم الدر والعقيان، ص210 . 211.

16 . قريان، المرجع نفسه، ص38 .39. من بين هؤلاء السلاطين السلطان أبو عبد الله محمد الواثق الشهير بابن خولة، الذي كان شغوفا بالعلم والفن، والسلطان عبد الواحد الذي نفق في أيّامه سوق الأدب. انظر، التنسي، المصدر نفسه، ص236.

17 . عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العصر الزياني، 146/1، ولقد بلغ عدد مساجد تلمسان حوالي 60 مسجدا، اشتهر منها، مسجد جامع القصبة، والجامع الكبير، والجامع الذي بناه السلطان أبو الحسن المريني حذاء ضريح أبي مدين شعيب بالعبّاد. راجع قريان، السياسة التعليمية، ص92 . 93.

18 . خالد بلعربي، تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد السلطان يغمراسن بن زيان، مجلة الحوار الفكري، ص135.

19 . من هؤلاء الذين درّسوا في الجامع الأعظم: عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف، والقاضي سعيد العقباني، والعالم الحسن بن مخلوف المعروف بأبركان، والشيخ بن زاغو، والعالم بن يوسف السنوسي. قربان، المرجع نفسه، ص97.

20. أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، الفقيه المجتهد العالم الإمام الجامع بين المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول، سافر إلى تونس في صباه سنة 740هـ/1339م وتتلمذ على القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام، فرأى منه وفرة علم، وحدّة عقل، لم يعهدها في غيره، فقرّر أن يخلو به في بيته ليقرأ عليه "فصل التصوف من كتاب الإشارات لابن سينا بما كان هو قد أحكم ذلك الكتاب"، كما قرأ عليه كثير من كتاب الشفا لابن سينا، ومن تلاخيص كتب أرسطو لابن رشد، ومن الحساب والهيئة والفرائض، علاوة على ما كان يحمله من الفقه والعربية، وسائر علوم الشريعة، هذه الشهرة العلمية جعلت من السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني يستدعيه من فاس، وتلقّاه بالترحاب الكبير، وأصهره في ابنته، وأسند له التدريس بالمدرسة، كما تولى له عدة سفارات للمرينيين، استمر قائما على المدرسة يدرّس العلم، ويخرّج العديد من الطلبة الذين أصبحوا من كبار العلماء إلى غاية وفاته سنة 771هـ/1369م ليخلفه ابنه عليه، للمزيد انظر، ابن خلدون، 480،479/7 . يحي بن خلدون، البغية، 120/1 ، 101،136/2 . التنسي، نظم الدر، ص180 . ابن مريم، البستان، ص173،165 . التنبكتي، النيل، ص430.

21 . قربان، نفسه، ص97.

22 . يحي بن خلدون، البغية، 1/ 209.

23 . صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة، ص107.

24. ابنا الإمام، هما الأخوان أبو زيد عبد الرحمن وهو الأكبر، وأبو موسى عيسى وهو الأصغر، ابنا الإمام محمد بن عبد الله بن الإمام، من أهل برشك، فقيهان كبيران وإمامان مشهوران بالعلم والرياسة، كان أبوهما إماما ببعض مساجد برشك من أعمال تلمسان، قتل أبوهما فارتحلا إلى تونس والمشرق، ودرس بهما، ورجعا إلى المغرب بحظ وافر من العلوم نقلية وعقلية، وبلغا رتبة الاجتهاد في إطار المذهب المالكي، فاتصل بهما السلطان أبو حمو الأول واحتفل بهما، وتتلمذ على أيدهما ثلة كبيرة من العلماء، توفي عبد الرحمن سنة 743 هـ/ 1342 م، وتوفي أخوه بالطاعون سنة 749 هـ/1348م. انظر، يحي ابن خلدون، البغية، 130/1. ابن مريم، البستان، ص123. التنسي، نظم الدر، ص136 . 142. ابن فرحون، الذيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 152 . ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1421- 2001، 464،463/7. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1339- 1973، 218/2 .

قريان، السياسة التعليمية، ص70. صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة بتلمسان الزيانية، ص277 . 279

25 . يحي بن خلدون، نفسه، 30/1.

26 . سيدي إبراهيم المصمودي، هو الشيخ الصالح الولي الزاهد أبو اسحاق أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، ولد وترعرع فيها، أخذ العلم بفاس، ثم انتقل إلى تلمسان فسكن المدرسة اليعقوبية، ومنها إلى المدرسة التاشفينية إثر وفاة شيخه أبي عبد الله الشريف، فبلغ مكانة هامة في الفقه والتصوف، حلاّه التنبكتي بـ«العالم العلاّم المحقق رئيس الصالحين والزاهدين في وقته، ذو الكرامات المأثورة، الولي بإجماع أهل زمانه، أعلم وقته بالسير وأخبار السلف والصالحين والعلماء كافّة من متقدّمين ومتأخّرين، وله كرامات كثيرة»، توفي سنة 805هـ/1402م، انظر، التنبكتي، النيل، ص 54. 55. ابن مريم، البستان، ص64 . 66 . صابرة خطيف، المرجع نفسه، ص273.

27 . المشور، قصر شيّده السلطان يغمراسن بن زيّان جنوب مدينة تلمسان، وهو عبارة عن قلعة، ومعنى المشور المكان الذي يعقد فيه أمير المسلمين اجتماعاته مع وزرائه وكتّابه وضبّاطه لمناقشة أمور الرّعية وقت السلم والحرب. انظر فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العصر الزياني، 112/1 . .113

28 . صابرة خطيف، المرجع نفسه، ص109.

29 . عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 326/2، وللمزيد حول أهداف السلطة الزيانية من بناء المدارس انظر، قريان، المرجع نفسه، ص99 . 100.

30 . التنسي، المصدر نفسه، ص139 . قريان، المرجع نفسه، 70.

31 . يحي بن خلدون، بغية الرواد، 130/1. ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بأخذهم عن ابني الإمام: أبو عبد الله محمد بن عبد النور، والقاضي أبو محمد عبد الحق بن سعد بن محمد، والآبلي، وأبي عبد الله الشريف التلمساني، والمقري الكبير(الجد)، وسعيد العقباني، وابن مرزوق الخطيب (الجد)، والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون، ولسان الدين بن الخطيب. انظر، قريان، نفسه، ص71 . صابرة خطيف، المرجع السابق، ص277 . 279.

32 . المقري، نفح الطيب، 218/5 . قريان، المرجع نفسه، ص71.

33 . يحي بن خلدون، 30/1 . ابن مريم، البستان، ص139 . صابرة خطيف، المرجع نفسه، ص279.

34 . تميزا لها عن مدرسة ابني الإمام القديمة، انظر، التنسي، نظم الدر، ص142.

35 . التنسي، نظم الدر، ص141 ،وللمزيد حول هذه المدرسة انظر، المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة، العدد 11، ص87.

36 . التنسي، المصدر نفسه، ص 141.

37 . يحي بن خلدون، بغية الرواد، 130/1. 131 . التنسي، نظم الدر، ص141 . المقري، أزهار

الرياض، 30/5.

38 . التنبكتي، نيل، ص351.

39 . صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة، ص281، ولعل من أشهر من أخد عنه أبو عبد الله المقري، وأبو عثمان العقباني، هذا الأخير كان من الأعلام البارزين في تلمسان، جمع بين القضاء وخطابة الجامع الأعظم، درّس الفقه على غرار زملائه، وعلوم أخرى منها الحساب والهندسة، تخرّج على يديه الكثير من نجباء الطلبة منهم: أبو عبد الله الشريف،إبراهيم المصمودي، ابن مرزوق الحفيد، وأبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام. للمزيد راجع، يحي بن خلدون، 123/1. التنبكتي، نيل، ص55. صابرة، المرجع نفسه، ص281 . 282.

40 . العباد، قرية عتيقة واقعة في الجنوب الشرقي من تلمسان تبعد عنها بنحو الميلين، ومبينة في سفح جيل البقل، واسم العباد مشتق من العبادة لأنه جمع عابد، إذ كان أول الأمر رباطا يجتمع به النساك والزهاد والمتبتلون بقصد الانقطاع لعبادة الله والجهاد في سبيله، وصفه العبدري الذي زار تلمسان سنة " 688 هـ/ 1289 م " هو مدفن الصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين . رحمة الله ورضي عنه . ورزقنا بركته، وعليه رباط مليح مخدم مقصود "، وهو ينقسم إلى قسمين السفلي والعلوي. للمزيد انظر، محمد العبدري، الرحلة المغربية، ص 9 . 10 . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983، 2 /24. الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 278 . 279.

41 . صابرة خطيف، المرجع نفسه، ص81.

42 . قربان، المرجع نفسه، ص73 . 74.

43 . يحي بن خلدون، بغية الرواد، 136/2.

44 . التنبكتي، النيل، 430 . 437 . صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة، ص287.

45 . من طلبته أخوه يحي وابنه أبو محمد الشريف، وابن مرزوق الحفيد. راجع في ذلك، قربان، السياسة التعليمية، ص76 . 77 . صابرة، ص286 . 287.

46 . التنبكتي، النيل، ص226.

47 . الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان، هو الإمام الشيخ المعروف بالولاية والعلم والزهد، درس بتلمسان، ورحل إلى المشرق ورجع إلى تلمسان، ودرّس بها، له تقييد يسمى بالثاقب في لغة ابن الحاجب، توفي سنة 857هـ انظر، القلصادي، الرحلة، ص108. ابن مريم، ص74. 93 . التنبكتي، نيل، ص161 . مخلوف، شجرة، ص262 . الحفناوي، 106/2 . 107.

48 . التنسي، المصدر السابق، ص248 . 249، ابن مريم، المصدر السابق، ص 230 – 240. والشيخ

أبو علي الحسن بن مخلوف الراشدي، الشهير بأبركان، الإمام الفقيه الولي الصالح، الذي كان مقصد العامة والخاصة، درس بتلمسان، ورحل إلى المشرق، ثم رجع إلى مسقط رأسه، فدرّس بها، توفي سنة 857هـ انظر ترجمته في، القلصادي، الرحلة، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978ص108. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 161 . 162 . البستان، ص 74 . محمد بن محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1930، ص262.

49 . صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة، ص301.

50 . قربان، السياسة التعليمية، ص83 . فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني،1/ 305.

51 . صابرة، المرجع نفسه، ص205.

52 . التنسي، نظم الدر، ص211.

53 . قربان، المرجع نفسه، ص90.

54 . القلصادي، هو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الأندلسي المالكي، أبو الحسن الشهير بالقلصادي، ولد سنة 875هـ/1412م ببسطة الأندلسية، ثم انتقل إلى غرناطة واستوطنها طلبا للعلم، وأخذ عن أجلّة علمائها، ومنها قصد الشرق متوجها إلى الحج، شمل خط الذهاب فيها وهران، فتلمسان، فتونس، فطرابلس، فالإسكندرية، فالقاهرة، فالطور، فينبع، فجدّة، فمكّة، وشمل خطّ الإياب المدينة، فينبع، فالعقبة، فالقاهرة، فالإسكندرية، فبرقة، فطرابلس، فتونس، فوهران، فالمرية وذلك سنة 855هـ/1401م، أخذ في هذه الرحلة عن خمسة وعشرين شيخا من العرب والعجم علوما مختلفة، وأخذ عن بعض طلبة هذه المراكز، وبعد رجوعه إلى غرناطة، وجدها تحت يد الإسبان، فتوجه إلى باجة التّونسية واستقر بها، إلى أن توفي في منتصف ذي الحجّة سنة 891هـ/ ديسمبر 1486م، ودفن بمكان يعرف بالمسيد بناحية سيدي فرج على ربوة تشرف على مدينة باجة، خلّف لنا تراثا ضخما منها: أشرف المسالك إلى مذهب مالك، وشرح مختصر خليل، وشرح الرسالة، وشرح التلقين، وهدية النظّار في تحفة الأحكام، غنية النحاة وشرحها بشرحين: الأكبر والأصغر، وشرح الأجروميّة، وشرح على رجز ابن مالك، وشرح إيساغوجي، وشرح أرجوزة أبي إسحاق بن فتوح، وشرح الأنوار السنيّة لابن جزي واسمه " لبّ الأزهار في شرح الأنوار" أو " الأزهار اليمينيّة على الأنوار السنيّة في الألفاظ النبوية وغيرها من المؤلفات التي لا تعدّ ولا تحصى. للمزيد انظر، التنبكتي، النيل، ص339. ابن مريم، البستان، ص141. منير التليلي، المدرسة الجزائرية في القرن التاسع هجري وتأثيرها في علماء الفرائض (القلصادي أنموذجا)، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي، وزارة الشؤون الدينية، عين الدفلى، الجزائر،2009، ص ص 423 . 440

55 . القلصادي، الرحلة، 1978، 95 ، وراجع المواضع التي عدّد فيها أسماء بعض العلماء، ص96 . 109.

56 . أبو الفضل المشدالي، بجائي المولد والمنشأ، تلمساني الدار، ولد سنة 821هـ، رحل إلى تلمسان في أول سنة 840هـ/1436م، وتتلمذ على كثير من علمائها، في مختلف العلوم العقلية والنقلية، منهم بن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وابن الإمام، درس بتلمسان الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض، وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل والفرائض، بقي بها أربع سنين، أحدثت فيه نقلة علمية كبيرة، ثم رجع إلى بجاية، وسافر بعد ذلك إلى المشرق، فبهر العقول والألباب، من سعة الحفظ، وتوقد القريحة، واعتدال المزاج، وسداد الرأي، واستقامة النظر، وفور العقل، وطلاقة اللسان، وبلاغة القول، ورصانة الجواب، وحلاوة الشكل، وعذوبة المنطق، وشهد له الأئمة بدمشق ومصر وطرابلس، بأنه أوحد أهل الأرض، وأنه عديم النظير في جنس بني آدم، وبالجملة وصف بأنه كان غاية في جودة الذهن، وسرعة الإدراك، وقوة الحافظة، توفي سنة 865هـ للمزيد انظر، القلصادي، الرحلة، ص126 . 127. السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، 180/9 . 188. التنبكتي، النيل، ص 541 . مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 263 . المقري، نفح الطيب، 223/5.

57 . السخاوي، الضوء اللامع، 181/9 . 182.

58 . قربان، السياسة التعليمية، ص253.

59 . الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، الإمام العالم، العلامة الصالح الفاضل المتكلم شيخ العلماء، الصالح الزاهد، الأستاذ المحقّق، الجامع بين العلم والعمل، أخذ عن والده وعن عبد الرحمن الثعالبي، وعن محمد بن صعد والشيخ زروق وغيرهما، وهو صاحب التآليف الشهيرة في العقائد، والحديث والتفسير، والمنطق والجبر، والإسطرلاب، والفرائض وغيرها، توفي سنة 895هـ/1490م، من مؤلفاته عمدة ذوي الألباب ونزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الاسطرلاب. للمزيد انظر، ابن مريم، البستان، ص237 . 248. التنبكتي، النيل، ص563 . 564. محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تح أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص234 . 242. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991، 2/ . خليفي الشيخ، الفكر الصوفي عند محمد بن يوسف السنوسي، دراسة في نظرية الجمع بين التوحيد والتصوف، رسالة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008 . 2009، ص ص44 . 59 . عبد القادر أحمد عبد القادر، السنوسي التلمساني الجامع بين علوم الباطن والظاهر، مصنّفاته المخطوطة وأماكن وجودها، مجلة آفاق التراث والثقافة، العدد 22. 23، 1988، ص ص 137 . 154.

60 . السنوسي، مكمل إكمال المعلم على شرح صحيح مسلم، دط، مكتبة طبرية، الرياض، السعودية، دت، 288/1 . 289.

61 . ابن مريم، البستان، ص217.

62 . السنوسي، عمدة أهل التوفيق والتسديد، تح عبد الفتاح بركة، ط1، دار القلم، الكويت، 1982، ص 43.

63 . القلصادي، الرحلة، ص102 .103.

64 . الحفناوي، 50/2.

65 . ابن مريم، البستان، ص42 . 43 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص118 . 119.

66 . القلصادي، الرحلة، ص105. وللمزيد راجع، ابن مريم، البستان، ص41 . 43 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 118 . 119 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 54/1 . القرافي، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425- 2004، ص41 . عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط 2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1400- 1980، ص39.

67 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص521 . 522 . ابن مريم، البستان، ص220 . 221 . ابن القاضي أبو العبّاس المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1423- 2002، 289/2 . القلصادي، الرحلة، ص108.

68 . صابرة خطبف، الفقهاء والسلطة، ص85

69 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 522 . البستان، ص 221 . 222 . القلصادي، الرحلة، ص102. المقري، 237/5، وباب الجيّاد يقع في الجهة الجنوبية من مدينة تلمسان، فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العصر الزياني، 110/1.

70 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 526 . ابن مريم، البستان، ص 201 . القلصادي، الرحلة، ص99 . 100.

71 - القلصادي، المصدر نفسه، ص .106

72 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص365 . محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تح صالح شعبان، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416- 1995، 305./4

73 - الرحلة، ص 107، ونقل عنه ذلك التنبكتي في نيل الابتهاج، ص.365

74 - القلصادي، نفسه، ص 107، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص365 . الونشريسي، الوفيات، ص.760

71 . رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن9 هـ، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2008، ص 218 . 219.وللمزيد حول شخصيته راجع، رحلة القلصادي، ص106 .107. السّخاوي، الضوء اللامع، 181/6 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص365 . 366. التنبكتي، كفاية المحتاج، 13/2 . توشيح

الديباج، ص169 .170 . البستان، ص147 . 148 . محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السّلفية، القاهرة، 1،1350/255.

72 . كفاية المحتاج، 184/2.

73 . وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقمه 1458، وهو عبارة عن رجز به 170 بيتا، مطلعه:

بحمدك اللهم نظمي ابتدي مصليا على الرسول أحمد

وأرتجي أن تجزلن ثوابي على نظام بغية الطلاب

انظر، عبد الجليل قربان، السياسة التعليمية، هامش ص 176

74 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 543 . البستان، ص 219. 220. القلصادي، الرحلة، ص108 . نويهض، ص143 . وللمزيد حول مؤلفاته وأهميتها، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 115/1 .118.

75 . ابن مريم، البستان، 223.

76 . ابن مريم، البستان، 223 . التنبكتي، نيل الابتهاج، 547 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 188/2.

77 . ابن مريم، المصدر نفسه، ص223. التنبكتي، المصدر نفسه، ص457 . التنبكتي، المصدر نفسه، 188/2.

78 . الونشريسي، الوفيات، ص148 . ابن مريم، المصدر نفسه، ص223. التنبكتي، المصدر نفسه، ص457 . التنبكتي، المصدر نفسه، 188/2.وللمزيد حول شخصيته راجع ترجمته في: رحلة القلصادي، ص109. الضوء اللامع،278/7 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص547 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 188/2. البستان، ص223 .224. شجرة النور،255/1. 264 . نفح الطيب، 419/5 . 423.

79 . الونشريسي، الوفيات، ص149. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص552 . البستان، ص236 . شجرة النور،1/ 264.

80 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 547 .548 . البستان، ص 224 . الونشريسي، الوفيات، ص780.

81 . الونشريسي، الوفيات، ص772. ابن مريم، ص224 . التنبكتي، النيل، ص547 . 548)

82 . للتعريف به انظر، ابن مريم، البستان، ص 248 . 249. محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تح أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، 242/1 . راضية بن عربية، الحافظ التنسي بين المجد والتاريخ، الملتقى الوطني الثاني أعلام حوض الشلف، كلية الآداب واللغات، جامعة الشلف، دت، ص242/1 . ص4. 9.

83 . البستان، ص283 . التنبكتي، النيل، 560 . 561. التنبكتي، كفاية المحتاج، 201/2 . 202. الكتاني، فهرس الفهارس، 322/1 .

84 . الحضيكي، طبقات الحضيكي، 1/ 27 . 28 . ابن مريم، البستان، ص38 . 41. جيلالي صاري،

أضواء على حياة وتراث أبي العباس أحمد بن محمد بن زكري، مجلة الثقافة، ع 90، 1985، ص ص 88 . 94. صابرة، ص273.

85 . الحضيكي، المصدر نفسه،1/ 243.

86 . نازلة يهود توات، نظرا لتزايد الحضور اليهودي في العديد من حواضر المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي واستحواذهم على منافذ التجارة وطرقها خاصة المؤذية إلى بلاد غرب إفريقيا، ألبّ هذا الوضع المتردي لبلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا حفيظة الكثير من الفقهاء منهم الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، وأحمد بن محمد بن زكري، ومحمد بن عبد الجليل التنسي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، هذا الأخير انتقد وضع اليهود في تلمسان وتوات (واحات الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي) وتمنطيط التي قدمها واستقرّ بها، فصوّر لنا الوضع في أسوء صوره، إذ يقول في وصف حالهم:« فقد سألني بعض الأخيار عمّا يجب من الجزية والصغار، وعمّا عليه أكثر يهود هذا الزمان، من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان.»، وهذا ما جعل المغيلي يرفع صوته حازما لوضع حد لهذا التطاول، محملا إياهم عواقب التمرد على الأحكام الشرعية، وبما أنهم لم يرتدعوا عن تجاوزاتهم أصدر فتواه بتحليل دمائهم، ورفع وصف أهل الذمة عنهم قائلا: «لا شك أن اليهود المذكورين كيهود توات وتَجْرَارين وتافيلالت ودرعة وكثير من الأوطان بافريقية وتلمسان، قد حلّت دماؤهم وأموالهم ونساؤهم، ولا ذمة لهم.»، بل زاد على ذلك « فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض كبير فقد انتقض عهده.». انظر، الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس المغرب، تحقيق محمد الحجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 217/2 . 230 . 231 . 248 . وللمزيد حول دوافع المغيلي وتداعيات مواقفه انظر، بوغرارة نبيلة، محمد بن عبد الكريم المغيلي مساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا(823 . 909هـ/1417. 1503م)، ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002 . 2003م ، ص ص203 . 230 . عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العصر الزيّاني، 415/2 . 416.

87 . ابن مريم، البستان، ص253 . 275. التنبكتي، النيل، ص578 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 220/2 . الحضيكي، 244/1 .247 . ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، 274/1 . عز الدين كشنيط، المدرسة المالكية في الجنوب الجزائري، ملتقى عين الدفلى، ص137 . 139 . زهير بن عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية، ملتقى عين الدفلى، ص179 . 182 . وللتوسع حول حياته وشيوخه ومؤلفاته انظر، بوغرارة نبيلة، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 44 إلى نهاية الرسالة.

88 . ابن مريم، ص252 . 253 . التنبكتي، النيل، ص279 . 580 . شجرة النور الزكية، 274/1.

89. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العصر الزيّاني، 361/1. وحول معرفة أهل تلمسان بالمذهب

المالكي، ذكر الجغرافي البكري (ت 487/1094م) أنّه« لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله.» أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص77.

90. علاوة عمارة، انتشار المذهب المالكية ببلاد المغرب الأوسط، قراءة سوسيولوجية، مجلة آفاق التراث والثقافة، السنة 14، 2007، ص 30.

91 . ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق عبد الوارث محمد علي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417- 1997، 452/3.

92 . التبكتي، كفاية المحتاج، 137/2 . 138.

93 . المازوني، الدرر المكنونة، ورقة رقم 1. المازوني، الدر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق بركات إسماعيل، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009 . 2011م، ص 226.

94 . القلصادي، الرحلة، ص96. ابن مريم، البستان، ص220.

95 . الكاغد الرومي، نظرا لانتشار النسخ بشكل واسع، فإن الكاغد المحلي لم يعد يفي بالمطلوب الكمي والنوعي من عمليات النسخ، لذا بات الالتجاء إلى الكاغد الرومي أمرا ضروريا، حيث أصبح منتشرا من مدينة طرابلس إلى مدينة تلمسان، وكانت وفرته وانتشاره وضرورته، محل تساؤل وفتاوي طرحت على الفقهاء للنظر في طهارته. انظر، المازوني، الدرر، تح اسماعيل بركات، قسم التحقيق، ص ص 307 . 345 . محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1999،ص 145 . 147.

96 . الونشريسي، 1/ 75 . 85 .

97 . ابن مريم، البستان، ص 211.

98 . ابن مريم، البستان، ص 210.

99 . نفسه، 211.

100 . للمزيد حول مصنّفاته انظر، المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص ص 161 . 166.

101 . وللمزيد حول حياته راجع، القلصادي، الرحلة، ص96 . 98 . ابن مريم، البستان، ص201. 211 . الضوء اللامع،50/7 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص499 . 510 . توشيح الديباج، ص171 .173 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 160/2 . 161. البستان، ص201 .214 . القرافي، توشيح الديباج، 172. شجرة النور،255/1. 253 . تعريف الخلف، ص128 .140 . ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، (طبع باسم: رحلة ابن خلدون)، تحقيق محمد ابن تاويت

الطنجي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425- 2004. ص50 . 56. المقري، نفح الطيب، 425/5 . 426.

102 . القلصادي، الرحلة، ص97 . 98.

103 . جاء مخطوط ابن مرزوق في شكل نوازل مخطوطة من 41 ورقة ذو خط رديء جدا وصعب للقراءة، لا يمكن أن ننتقي منه المادة العلمية إلا بالمقارنة مع مؤلفات أخرى مثل: نوازل مازونة والمعيار للونشريسي.

104 . ابن مرزوق الحفيد، نوازل ابن مرزوق الحفيد، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1342.

105 . ابن مرزوق، نفسه، ورقة 25 . 27 . المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، منشورات مخبر المخطوطات- جامعة الجزائر، الجزائر، 2004، 3، /12 . 13 . الونشريسي، المعيار، 5/ 334 . 347 .

106 . ابن مريم، البستان، ص211.

107 . هذه النازلة أوردها ابن مرزوق عالج من خلالها الضّرر الذي يلحقه ماء الخليج (والخليج، نهر يقتطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتفع به) على الدور التي يمرّ عليها، لأنّ أغلب المجاري المائية في المغرب الأوسط خارجية وليست عبارة عن قنوات أرضية داخلية مشيّدة بأنابيب حافظة بجريان المياه، وقد وقع الخلاف بين الفقهاء في تحويل المجرى الذي أجراه الله سبحانه وتعالى، ودفع ضرره على أساس أنّه الأسبق في الوجود من الدور وغيرها، وعليه الإشكالية التي تطرح في مسألة الخليج هي: على من يكون إزالة الضّرر؟، وهل على المتضرّرين في حدّ ذاتهم، أم على كل من يمرّ عليهم الخليج؟، وقد ناقش تلميذ ابن مرزوق أبو عبد الله بن العباس العبادي المسألة محدّدا الحكم في نقطتين أساسيتين: 1. يتم إصلاح ما أفسده الخليج على المالكين الأساسيين للجدران والدور إذا كانت ذات ملكية خاصة، 2 . أن يكون الإصلاح على كل من علا موضع الهدم أو الضّرر بصفة عامة، إذا كانت المناطق المتضرّرة ذات ملكية عامّة . انظر المعالجة في رسالة الباحثة سناء عطابي، الخطاب الفقهي والعمران في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007 . 2008، ص24 + ص 86 . 88.

108 . استخدمت المدرسة الفقهية التلمسانية أسلوب المناظرة الفقهية حقيقة وحكما، وذلك بأن جلبت الجدل الفقهي بين أربابه لتلتمس حكم المسائل وطرائق الاستدلال، والحكمة من هذا الفن هو: 1. إحكام البيان وإقامة الحجة، 2. الوقوف على الحق بعد معالجة المتعلقات والمآخذ، 3. ربط الطالب بالمسائل التي تعددت طرق نقلها، حيث يدفع إلى جلبها دون ملل، ويستمدّ هذا الفن حجيّته من القرآن الكريم والحديث، وأقوال الأئمة، والمدارس الكلامية، انظر، أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، مدرسة مازونة نموذجا للاتباع المحمود والاتباع المشروع، ملتقى الجلفة، ص73.

109 . ابن مرزوق، نفسه، ورقة 23 . 24. االمازوني، الدرر المكنونة، مختار حساني، 653/2. 656 . المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مسائل البيوع، تح زهرة شرفي، ماجستير في العلوم الإسلامية، الجزائر، 2004 . 2005، ص 130. 133 . الونشريسي، المعيار، 311/2.

110 . درهم الإعانة، من القضايا التجارية والضريبية التي عرفتها مدينة سلا خلال العصر المريني، والمقصود بذلك الدرهم الذي اجتمع أمناء التجار والحاكة على أن يأخذوه من كل شِقّة تباع، فيحفظ لإعطائهم ما يجتمع منه في مظلمة تحدث أو وظيف من الجانب المخزني يوما مّا، لما فيه من الإرفاق والمياسرة عن أداء ذلك يوم طلبه من الناس دفعة واحدة، ولقد حصل خلاف حول ذلك الدرهم؛ هل هو مقتطع من مال البائع أو من مال المشتري، فوقعت مناظرة بين الفقيه أبي عثمان سعيد العقباني وأبي العباس أحمد القباب. انظر، المازوني، الدرر، تح مختار حساني، 662/2 . 695 . المازوني، الدرر، تح زهرة شرفي، ص 139. 206. الونشريسي، المعيار 297/5- 326، العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، حققه ونشره علي الشنوفي في مجلة Bulletin d'études orientales ، العدد 19 سنة 65-1966، ص96-97. رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ، ص224 . .225

111 – الونشريسي، المعيار، 588/6 + 10/ 439 . التنبكتي. النيل 102/1 . فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني 412./2

112 - الونشريسي. المعيار 326/5- 331 . رفيق، البيوتات الأندلسية، ص.225

113 . قبيلة مغيلة، إحدى بطون قبيلة زناتة البترية، قبيلة السلطة الزيانية وعصبيتها، وهي تتكون من بطون عديدة أغلبها بالمغرب الأوسط حتى سمي باسمهم وطن زناتة، ومستقرها تحديدا من مصب نهر الشلف حتى ضواحي مازونة.انظر ابن خلدون، العبر، 203/6 . المازوني، الدرر المكنونة، تح إسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص 132.

114 . مازونة، بلدة عتيقة أسست في قلب جبال الظهرة بين وادي الشلف والبحر المتوسط، كان اختطاطها سنة 565هـ/1170م بعمالة وهران، على يد منديل بن عبد الرحمن المغراوي، أشهر زعماء قبيلة مغراوة، التي هي من زناتة، وصفها الحسن الوزان أنها مدينة متحضرة جدا في القديم، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، مما مكنها أن تكون من أكبر المراكز الحضارية الزيانية، احتضنت هيئة علمية ذات مستوى عال، ومؤسسات علمية متنوعة، كالكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وتقع تحديدا إلى الغرب من مدينة الجزائر العاصمة، وتبعد عن مدينة الشلف إلى الغرب حوالي 60كلم. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 36/1. بوبة مجاني، المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاء وأهل الوثائق لأبي يحي موسى بن عيسى المغيلي المازوني(ت 833هـ /1429 . 1430م) مصدر جديد من مصادر التاريخ، مجلة حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 11، 2002م، ص 148. غرداوي نور الدين، جوانب من الحياة

الاقتصادية والفكرية بالمغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005 . 2006م، ص 78.

115 . المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم التحقيق، ص224.

116 . المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم التحقيق، ص226.

117 . المازوني، الدرر، 1، ورقة 405 . الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم التحقيق، 138.

118 . المازوني، الدرر،2 ، ورقة رقم 128. المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، ص138.

119 . المازوني، الدرر، 1، ورقة 405و . المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص139.

120 . المازوني، الدرر، تح اسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص138. غرداوي، المرجع السابق، ص 84 . 85.

121 . ابن مريم، البستان، ص42. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص637 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 281/2 . مخلوف، شجرة النور الزكية، ص265. بينما هناك من يذكر أنّ وفاته كانت سنة 803هـ/1400م بتلمسان.انظر، الحضيكي، طبقات الحضيكي، 2/ 612 . الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص150.

122 . المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص139. رمضان شاوش، باقة السوسان، ص437.

123 . الدرر، تح مختار حساني، 224/1 . 226 . المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، ص188.

124 . عنوان مؤلّفه: المهذّب الرّائق في تدريب النّاشئ من القضاة وأهل الوثائق، وهو مخطوط في 234 ورقة من الحجم العادي، عدد فصوله 233 فصلا، توجد نسخة منه في متحف سيرتا بقسنطينة، تحت رقم 14.

125 . موسى بن عيسى المغيلي المازوني، كنيته أبو عمران، عرف بالفقيه الأجّل، المدرّس، المحقّق، القاضي الأكمل، تمكّن من السنّة حتى لم يدع للبدعة مدخلا إلا صدّه، ولا لأهلها مقتلا إلا قدّه، فهو في الدّين طود شامخ، ذو مجد باذخ، على أولياء الله فاضل، وفي سبيل الذّب عن حماهم مقاتل، كانت وفاته سنة 833هـ/1429م، من مؤلّفاته: حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيّابه، وديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار. انظر، المازوني، الدرر، تح إسماعيل بركات، قسم التحقيق، ص ص146 . 148 . الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة-المكتبة العتيقة، بيروت-تونس، 1402هـ/1982م، 2 /583 . التنبكتي، كفاية المحتاج، ص482. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص605. 606. بوبة مجاني، المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاء وأهل الوثائق لأبي يحي موسى بن عيسى المغيلي المازوني(ت 833هـ /1429 . 1430م) ، ص 109 . 113.

126. قدّم موسى بن عيسى المغيلي في مهذبّه نصوصا هامة وأصيلة حول الجهاز القضائي خلال

العهد الزياني متعلقة بالقضاة والشهود والأعوان والفقهاء، يهدف من وراء تأليفه تدريب الناشئة من القضاة وكتاب الوثائق يرجعون إليه في أحكامهم، ودافعه في ذلك أنّ خطّة القضاء والوثائق في عصره تسلط عليها أصحاب البوادي الجاهلين بالأحكام فسامها كل مفلس وتسلطوا بذوي المناصب السلطانية لغلبة الفساد لضعف السلطنة الزيانية وانحصار سلطتها على البوادي والأرياف التابعة لها مما جعل القضاة عاجزين بدورهم على اختيار من يستحق خطّة الوثائق والقضاء، فقد عرف عصر المؤلف جهل القضاة وعدم نصرة السلاطين لقضاتهم وغضّهم الطرف عما يصدر من عمالهم بانتهاكها حرمة القضاة، بينما الفقهاء لم يناصروا بعضهم بعضا، لذلك فهذا المخطوط أساسي لدراسة الخطط والوظائف الدينية خصوصا في فترة ضعف السلطنة الزيانية وتدهور أحوالها. انظر، المازوني، المهذب الرائق، و2+ و99 . بوبة مجاني، المرجع نفسه، ص 109 . 113 صابرة خطيف، الفقهاء والسلطة، ص33.

126 . المازوني، الدرر، تح اسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص 137، اعتمد المازوني على أمهات المصادر والدواوين في الفقه المالكي وغيره، منها المختصرات والشروح، وكتب القضاء والوثائق، وكتب الفتاوي والنوازل، وكتب التفسير والأحاديث، وكتب القواعد والأصول، وكتب السير والتراجم، للمزيد راجع، المازوني، الدرر المكنونة، قسم الدراسة، ص190 . 197.

127. هذه المسائل هي: من مسائل الطهارة . من مسائل الصلاة . من مسائل الزكاة . من مسائل الصيام . من مسائل الإعتكاف . من مسائل الحج . من مسائل الصيد . من مسائل الذبائح . من مسائل الضحايا والعقيقة . من مسائل الجهاد . مسائل الأيمان والنذور . مسائل الأنكحة . مسائل من الطلاق . مسائل من الإيلاء واللعان والظهار. مسائل من العدد . مسائل من الرضاع . مسائل من النفقات . مسائل من البيوع.

128 . المازوني، الدرر المكنونة، تح اسماعيل، قسم التحقيق، ص188 . 189.

129 . حول ترجمته انظر، الونشريسي، المعيار، 9/1 . الونشريسي، المنهج الفائق، 59/1 . 64 . ابن مريم، البستان، ص52 . 53 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 135 . 136 . التنبكتي، كفاية المحتاج، 70/1 . الحجوي، 256/2 . 257 . ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، المملكة المغربية، دت، ص 47 . 48 . مخلوف، شجرة النور، 269/1 . 270 . المقري، نفح الطيب،340/5 +278/6. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ط1، دار الغرب لإسلامي، بيروت، 1998، ص123. 132. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص49.

130 . جبال وانشريس، جبل بين مليانة وتلمسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 355/5.

131 . المقري، أزهار الرياض أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح مصفى السقا وآخرين، للجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب- الإمارات العربية، 1978، 65/3 . الكتاني، سلوة الأنفاس، 153/2.

132 . اختلفت أراء المؤرخين حول أسباب هجرة الونشريسي إلى فاس فمنهم من يجعلها بسبب شدة مواقفه مع السلطان أبو ثابت الزياني(866. 888هـ/1461. 1483م)، فقد كان صارما في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، ولذلك لم يكن له مع أمراء وقته كبير اتصال، وهناك من يرجع أسباب هذه الكائنة إلى ثورة الونشريسي، واستنكاره على السلطان، بسبب استسلامه، ومواقفه المزرية تجاه العدو الصليبي وعدم نصرته أهالي الأندلس، وقيل أن السلطان الزياني أبا عبد الله محمد أبي ثابت اشتهر بتشجيعه للعلماء ورعايتهم، إلا أنه حاول إخضاع الونشريسي، فصادر أمواله، واقتحم داره فهدّمها، ففرّ هاربا إلى فاس. للمزيد راجع، سعاد رباح، منهج الإمام المقري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي، ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2006. 2007م ص120 . 122.

133 . سلوة الأنفاس، 271/3 . 272 + 145/2 . ابن مريم، البستان، ص54 . التنبكتي، نيل، ص88.

134 . الكتّاني، فهرس الفهارس، 438/2 . ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، بيروت، 1993، ص.47

135 . ابن مريم، البستان، ص53 . التنبكتي، النيل، ص135.

136 . الونشريسي، الوفيات، ص 148 . 149. الحضيكي، طبقات، 23/1 . عفيفة خروبي، الأصول التي استند إليها أبو العباس الونشريسي في فتاوي المعيار المعرب، ملتقى عين الدفلى، ص 470 . 471.

137 . للمزيد انظر، سعاد رباح، المرجع السابق، ص 124 . 125.

138 . الحضيكي، طبقات، 24/1 . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 125/1. وللمزيد راجع، المازوني، الدرر، تح اسماعيل بركات، قسم الدراسة، ص ص182. 185 .

139 . يشمل كتاب المعيار المسائل التالية: الأول: في نوازل الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة والصيام والاعتكاف، والثاني: في نوازل الصيد والذبائح والأشربة والأضحية، ونوازل النذور والإيمان، ونوازل الجهاد والدماء والحدود والتعزيرات، والثالث: نوازل النكاح، والرابع: في نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة ونوازل التمليك والطلاق والعدّة والاستبراء ونوازل الرّضاع، والخامس: البيوع والمعارضات والمناظرات التي وقعت بين علماء عصره حول هذه القضايا، والسادس: في مسألة بيوع وقعت في بجاية بين عالمها المشدالي وابن الشاط، ومعها نوازل الرهن والصلح والحوالة والمديان والتفليس وغيرها، وقد أورد في الجزء السابع بابا خاصا بنوازل الأحباس، والتعليم وعادات أهل الأندلس والمغرب في ذلك، وكذلك مؤسسات التعليم كالمساجد، والثامن: مسائل من الميّاه والمرافق ونوازل الشّفعة والقسمة والمزارعة والمغارسة والمسّاقاة والشّركة والقراض، ونوازل الإجارات والأكرية والصّنائع ونوازل الضرر والبنيان، والتاسع: أكمل بقيّة نوازل الضرر والبنيان، ونوازل الوديعة والعارية ونوازل الهّبات والصّدقات والعتق ونوازل الوّصايا وأحكام المّحاجير، والعاشر: نوازل الأقضية والشهادات والدّعاوي

والإيمان والوكالات والإقرارات والمديان، والحادي عشر: في مواضيع متفرقة تخص الجامع وأحكاما عامّة في التعليم والفتيا وحكم سماع الموسيقى وحضور اللّهو وحكم حلقات الذكر وحكم الروايتين إذا نقلت من مجتهد واحد، والثاني عشر: في مسائل متفرقة مع بيان تواتر القرآن، والفرق بين القرآن والتفسير وحكم القياس والتّصوف والنّسب ومسائل أخرى. انظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، 126/1 . 128.

140 . زكرياء المرابط، الإمام أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي وإسهامه في ضبط المسألة البنيانية وترشيدها من خلال مؤلفه المعيار المعرب والجامع المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ملتقى الجلفة، ص502.

141 . الونشريسي، المعيار،1/1.

142 . التنبكتي، نيل الابتهاج، ص135.

143 . ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال ذيل وفيات الأعيان، تح محمد الأحمدي عبد النور، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، 1981، ص43.

144 . الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، 154/2.

145 . فهرس الفهارس، 439/2.

146 . سعاد رباح، منهج الإمام المقري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي، ص135.

147 . الونشريسي، المعيار المعرب، 170/2.

148 . عبد الجليل قربان، السياسة التعليمية، ص211.